أسباب النزول ودعوى تاريخية القرآن في فكر محمد أركون

Reasons of revelation and the Koran historicity in the Thought of Mohammed Arkoun

قدس قربوع [1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-
مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان
k.karoue@univ.emir.dz
أ.د عبد المالك بن عباس
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-
malekbenabbas@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/07/10 النشر على الخط 2023/09/15
Received 24/12/2022 Accepted 10/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

تشير الدلالة الظاهرية لمصطلح "أسباب النزول" إلى تفاعل النَّص مع الواقع، وهذا ما أوقع معظم الحداثيين في مغالطة أنَّ أسباب النزول تدل على تلازم الآية مع الواقعة أو الحدث تلازم العلة بمعلولها، ومن هذا المنطلق اعتبروها دليلا هامًّا على تاريخية القرآن، إلَّا أنَّ محمد أركون ذهب إلى عكس هذا القول واعتبر أسباب النزول عائقا أمام القول بتاريخية القرآن، لأنَّها عبارة عن قصص صغيرة غير كافية ولم تنقل بأمانة، إضافة إلى غلبة أسلوب الأسطرة عليها، ليخلص إلى أنَّها توحي بتاريخية مزيَّفة غير التاريخية الحقيقية للقرآن، والتي أراد أن يدلِّل عليها من خلال التتبع التاريخي لتشكل القرآن وربطه بلغة قومه.

الكلمات المفتاحية: محمد أركون، أسباب النزول، تاريخية القرآن.

Abstract:

The apparent significance of the term "reasons of revelation" refers to the interaction of the text with reality, causing most modernists to fall into the fallacy that the reasons of revelation indicate that the verse is associated with the fact or event and the cause is associated with its effect.From this point of view, they considered it important evidence of the historicity of the Koran, but Mohammed Arkoun went to the contrary and considered the reasons for the revelation an obstacle to the historicity of the Koran, because they are small stories that are insufficient and were not conveyed honestly, in addition to the predominance of the style of legend over them.He concluded that it suggests a false historicity other than the true historicity of the Koran, which he wanted to demonstrate by tracing the historical formation of the Koran and linking it to the language of its people.

Keywords: *Mohammed Arkoun, reasons of revelation, historicity of the Koran.*

[1]- المؤلّف المراسل: قدس قربوع البريد الإلكتروني: **k.karoue@univ.emir.dz**

1. مقدمة:

تعتبر مقولة "تاريخية القرآن" من أهم ما يروّج له الفكر الحداثي في الآونة الأخيرة تأثرا منهم بالغرب المسيحي، وقد سلك الحداثيون سبلا متشابهة أحيانا ومختلفة أو متناقضة أحيانا أخرى في سبيل تقديم كل الأدلة الممكنة لإثبات هذا الزعم، ومن الملاحظ أنَّ أبرز ما يمكن أن يثبت ارتباط النَّص بالواقع هو ما اصطلح عليه في الفكر الإسلامي بـ"أسباب النزول" والتي يمكن أن تُوظَف كدليل على جدلية الواقع والنص، وقد سعى الحداثيون إلى إبراز هذا الطَّرح الذي يؤكد في نظرهم أنَّ الآيات نزلت نتيجة لأسباب معيَّنة أي أنَّها عِلل موجبة لنزول الآيات إذ لولاها ما نزلت، وهذا ما يجزم في نظرهم بأنَّ القرآن قد خضع للتاريخ فلا يتجاوزه أو يتعالى عليه كما هو سائد في الوسط الإسلامي، وبالرغم من أنَّ "أركون" هو من تزعَّم دعوى تاريخية القرآن في الفكر العربي المعاصر إلا أنَّه لا ينظر لأسباب النزول على أنَّها من الأدلة الجازمة بتاريخية القرآن.

فما هي نظرة محمد أركون لأسباب النزول؟ و لماذا لا يعتبرها دليلا على تاريخية القرآن رغم الإيحاء الظاهري لها بتفاعل النص مع الواقع؟.

2. ضبط المفاهيم

1.2.ضبط مصطلح التاريخية وتاريخية القرآن:

– معنى التاريخية: المفهوم والنشأة

يجدر بنا قبل الخوض في معالجة موضوع تاريخية القرآن أن نتعرض أولا إلى مفهوم التاريخية في الفكر الحديث. بالنسبة للمعنى اللغوي: نجد أنَّ كلمة التاريخية لم ترد بهذا اللفظ في المعاجم العربية وهي مشتقة من كلمة التاريخ وتعني "الإعلام بالوقت. يقال أرَّخت الكتاب وورَّخته، أي بيَّنت وقت كتابته"[1].

أمَّا اصطلاحا: فهناك تعريفات كثيرة نأخذ منها تعريف معجم روبير le petit Robert "دراسة المواضيع والأحداث في بيئتها وضمن شروطها التاريخية."[2] ، ويعني هذا عند أصحاب هذه النزعة "أنَّنا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار والحوادث إلا بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه لا بالنسبة إلى قيمتها الذاتية لا غير، لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط ربما وجدناها خاطئة أو شاذة ولكنَّنا إذا نسبناها إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضرورية"[3].

ومعنى التاريخية يتضح أكثر بالنظر في نشأتها والتي كانت في القرن الثامن عشر على يد فيكو، وفكرته المحورية حول هذه القضية هي أنَّ البشر هم صانعوا التاريخ ولا دخل للقدرة الإلهية ولا القوى الغيبية في ذلك، ومنه فالتاريخ بشري من أقصاه إلى

---

[1] محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة:صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986م، ص 16.

[2] Le petit Rober de la langue Fracaise,nouvelle Edition,1992

نقلا عن مرزوق العمري، التاريخية: المفهوم وتوظيفاته الحداثية، مجلة إسلامية المعرفة، مج16، العدد63، 2011م، ص 54.

[3] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، د.ت ، ص 196.

أقصاه، وكل شيء في هذه الحياة يخضع بالضرورة للظروف التاريخية الزمكانية التي ظهر فيها[1]، وهذا معناه حصر الحقائق والأحداث فيما هو مدرك بالحواس فقط أي أنَّ المادة هي الموجودة وحدها، ومنه يمكن القول بأنَّ الأساس الذي تقوم عليه التاريخية هو أساس مادي بحت.[2]

– انتقال مصطلح "التاريخية" للعالم العربي والإسلامي ودعوى تاريخية القرآن

لا غرابة أن تنفذ التاريخية إلى البيئة العربية الإسلامية نظرا لانتشارها الواسع في العالم، لكن يصعب تحديد تاريخ دقيق لظهور كلمة "التاريخية" في الفكر العربي المعاصر، ولكن كوقت تقريبي يمكن عدُّ أقدم من استعمل المصطلح هو المغربي "عبد الله العروي" في كتابه "العرب والفكر التاريخي" الصادر عام 1973م[3]، غير أنَّ محاولات تطبيقها على النصوص الشرعية كانت قد بدأت قبل ذلك مع "الطاهر الحداد" والذي يقول بالتاريخية المطلقة للشريعة واستثنى منها العقائد ومكارم الأخلاق. وبهذا الطَّرح توصل إلى أنَّ الحجاب والميراث وتعدد الزوجات... إلخ تشريعات مناقضة للمعاصرة الحيَّة. وسار على دربه "عبد العزيز الثعالبي" والذي رأى أنَّ آيات الحجاب تقتصر فقط على نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم وعدَّه عرفا وافدا من المجتمع الفارسي[4]، إلا أنَّ التاريخية ظهرت بشكل جليّ مع "محمد أركون" والذي نادى بضرورة إدخالها في الفكر العربي المعاصر وتطبيقها على النصوص الشرعية وذلك في مؤتمر باريس عام1974م من خلال بحثه المعنون ب:"العجيب الخلَّاب في القرآن"[5] حيث قال فيه "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قِبل الفكر الإسلامي ألا وهي: تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معيَّنة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معيَّنة ومحددة."[6]

ويعرِّف "أركون" التاريخية بأنَّها "التحول والتغير أي تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان."[7] وأمَّا مقصوده من تطبيق هذه التاريخية على القرآن أو ما يصطلح عليه بأرخنة القرآن هو "الكشف عن تاريخية الخطاب القرآني عن طريق ربطه بالبيئة الجغرافية والطبيعية والبشرية القبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي."[8] وهذا يقود إلى القول بأن القرآن ما هو إلا نتاج لمجموعة من الظروف أسهمت في تشكيله ممَّا يجعله عارضا في تأثيره محصورا في بيئة نشأته[9]. وانطلاقا من هذا الزَّعم يرى "أركون" أنَّه من

---

[1] عطيات أبو سعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 26-165-166-179-182-196.

[2] عبد الله بن محمد القرني،تاريخية القرآن في الفكر الحداثي، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، ط1، 2018م، ص 25.

[3] خالد عبد العزيز السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط3، 2015م، ص 227.

[4] قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، د.ت، ص 210،211.

[5] خالد عبد العزيز السيف، المرجع السابق، ص 227.

[6] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة:هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م، ص 212.

[7] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،ترجمة:هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط1، 1991م، ص 26.

[8] هاشم صالح ، تعليق على كتاب القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون، ترجمة هاشم:صالح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2005م، ص 21.

[9] قطب الريسوني، المرجع السابق، ص 209-210.

السذاجة أن يستشهد المسلم بآية قرآنية لدعم موقفه تجاه حالة خاصة بالعصر الراهن[1]، وهذا المنظور الأركوني فتح المجال بقوة لمقولة لمقولة التاريخية حيث أصبحت تُتَداول كثيرا في كتابات الحداثيين[2].

2.2 . ضبط مصطلح أسباب النزول:

تعتبر "أسباب النزول" من أهمِّ علوم القرآن التي لا يمكن الاستغناء عنها في فهم النَّص القرآني وذلك لمنزلتها المهمة، والتي أردنا تبيانها من خلال ضبط مفهومه ثم التطرق إلى أهمية "أسباب النزول" في علم التفسير.

- من حيث المفهوم

هناك تعريفات عديدة لمصطلح " أسباب النزول" عند المفسرين المسلمين ومن بينها نذكر:

تعريف الإمام الزرقاني "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه."[3]

تعريف منَّاع القطان: "هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال."[4]

أما عن مصدر أسباب النزول فيعتمد العلماء في معرفتها عمَّا كان ينقل إليهم عن الصَّحابة رضوان الله عليهم، إذ لا يصح القول في أسباب النزول إلا عن طريق الرواية والسَّماع عمَّن شهدوا التنزيل ووقفوا على أسبابه[5] .

- من حيث الأهمية

يعد العلم بأسباب النزول من الشروط الأساسية التي يجب توفرها في المفسر، إذ لا يصح أبدًا الخوض في التفسير دونما معرفة بأسباب النزول[6]. يقول الواحدي عنها :"إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها."[7]

إذن فمعرفة أسباب النزول شرط لاكتمال فهم الآيات، وهذا ما أشار إليه الشاطبي في كتابه الموافقات مبيِّنا أهمية أسباب النزول ولزوم معرفتها وذلك من خلال أمرين:

– أنَّ علم المعاني والبيان الذي يُعرَف به إعجاز النظم القرآني مداره مقتضيات الأحوال، فمثلا الاستفهام لفظه واحد غير أنَّ معانيه عدَّة من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، ولا يمكن معرفة المعنى المراد إلا بالأمور الخارجة وعُمدتها مقتضيات الأحوال، فإذا فات منها شيء فات فهم الكلام جملة، ولهذا فالأسباب مهمة بلا شك في فهم القرآن.[8]

---

[1] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م، ص 86.

[2] قطب الريسوني، المرجع السابق، ص 213.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب الغربي، بيروت، ط1، 1995م، ج1، ص 89.

[4] منَّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، د.ت، ص74.

[5] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، تخريج وتدقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، المملكة العربية السعودية، ط2، 1996م، ص 8.

[6] خالد السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان، د.م.ن، ط1، 1421هـ، ج1، ص 53.

[7] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص 8.

[8] أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، د.م.ن، ط2، 1975م، ج3، ص 347.

– أن الجهل بأسباب النزول يوقع في الشبه والإشكالات ووقوع الاختلاف وهو مظنة النزاع[1]، لهذا لا غنى عن أسباب النزول لأن فيها بيان لمجمل أو إيضاح لخفي أو موجز، وهناك من الأسباب ما كان تفسيرا بحد ذاته، ومن أهميتها أيضا إرشاد المفسر أحيانا إلى طلب الأدلة التي تمكنه من تأويل الآية أو نحو ذلك[2].لكن لا يقودنا هذا الكلام إلى القول بضرورة وجود سبب لكل آية فجلُّ القرآن نزل ابتداء من غير سبب كما هو معلوم.

3 . أسباب النزول في المنظور الحداثي والمنظور الأركوني

1.3 . أسباب النزول في نظر أغلبية الحداثيين : استخدم جلُّ الحداثيين مبحث أسباب النزول كشاهد داعم لمقولة التاريخية وذلك لإفادته بأمرين يصبان في خدمة التاريخية وهما :

– الارتباط بالواقع: تعد أسباب النزول من أهمِّ مباحث علوم القرآن التي استُند إليها لتأكيد الزَّعم القائل بتاريخية القرآن، وذلك لما توحي به دلالة المصطلح من أنَّ الآيات القرآنية قد سبقتها أحداث ووقائع كانت أسبابا مباشرة لنزولها، أي أنَّ الآيات جاءت استجابة لما فرضه الواقع أيام التنزيل، وبهذا تكون أسباب التنزيل في نظر العديد من الحداثيين قد ربطت الآيات القرآنية ببعدها التاريخي وأظهرت بجلاء تحكم الواقع في النص أو كما يقول نصر حامد أبو زيد: "فإن علم أسباب النزول يزوِّدنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييدا أو رفضا وتؤكد علاقة "الحوار" و"الجدل" بين النص والواقع"[3].

– التخصيص: ويستغل الحداثيون مبحث أسباب النزول لحصر صلاحية الآيات بالأحداث التي كانت سببا في نزولها وضرب القاعدة الفقهية القائلة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، إذ أنَّ أسباب النزول تشير إلى أنَّ الآيات القرآنية جاءت خصيصا لحوادث بعينها ولهذا لا يصح تعميمها والخروج بها إلى زمن غير زمانها، بل يجب أن تبقى تلك الآيات حبيسة للظروف التي نزلت بسببها، وبهذا تكون القاعدة "العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"، وهذا هو الرأي العام لمعظم الحداثيين إلا أنَّ هناك منهم من تجاوز هذا الرأي لمخرج آخر غير أنَّ النتيجة واحدة وهي الانفلات من عمومية النص وصلاحيته لكل الأزمان والأمكنة.[4]

2.3 . أسباب النزول في نظر محمد أركون: لقد كان لمحمد أركون نظرة أخرى حيال قضية أسباب النزول، وعلاقتها بتاريخية القرآن وهذا ما سنتطرق إليه بشيء من التفصيل بدءا بتصوره لمسألة أسباب النزول.

– الإطار النقدي العام لمسألة أسباب النزول: تناول "محمد أركون" مسألة أسباب النزول ضمن مشروعه الذي يسميه "نقد العقل الإسلامي" والذي يسعى من خلاله إلى النقد التاريخي، وهذا حسب زعمه ما يحرر عقولنا من التصورات الضيقة والموروثة، الأمر الذي يمكن من خلق مجال لبناء تصور آخر حول الإسلام والتراث يكون أكثر قدرة على مواجهة المشاكل الحالية التي نعاني

[1] المرجع نفسه، ص 347.

[2] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ج1، ص 47.

[3] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2014م، ص97.

[4] أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف، التوظيف العلماني لأسباب النزول . دراسة نقدية ، مجلة البيان، الرياض، ط1، 1438هـ، ص125.

منها في مجتمعاتنا.[1] وما هذا في الحقيقة إلا محاولة لهدم كل موروث فكري إسلامي بدعوى المراجعة النقدية للتراث، وفي هذا الصدد يرى "محمد أركون" أنَّ أول مرحلة لهذه المراجعة تكون بإعادة القراءة التفسيرية للقرآن اليوم[2]،إذ يرى أنَّ أزمة التفسير الإسلامي المعاصر هي جزء لا يتجزأ من الأزمة الكبرى التي يعاني منها الفكر الإسلامي ككل وهي أزمة الجمود والانغلاق على القديم، فنجده ينتقد المفسرين المعاصرين بسبب اعتمادهم الكلي على التفاسير القديمة وتقديسهم لها دونما تفكير في نظام المسلمات التي يرتكز عليها التفسير الإسلامي التقليدي، فيقول: "نلاحظ أن المفسرين المسلمين المعاصرين يعتمدون جميعهم، في طريقة تفسيرهم وخياراتهم العقائدية، على المفسرين القدامى. ولم يحاول أي واحد منهم أن يفكك، تاريخيا وفلسفيا، نظام المسلمات أو البديهيات المؤبدة منذ قرون عديدة بصفتها موقفا دوغمائيا مقدَّسا أو معصوما لما كنت دعوته بالعقل الإسلامي."[3]

وفقا لهذا المنطلق لم ينفك "أركون" يسلط نقده على كل ما هو مسلَّم به وكل علم له صلة بالقرآن، وبما أنَّ أسباب إحدى أهم الآليات المعتمدة لفهم النَّص القرآني وإحدى أهم المباحث التي لا يستغنى عنها في التفسير الإسلامي، فقد عمد أركون إلى تعريضها لمحك النقد بدعوى مراجعة التراث.

– القراءة النقدية (العوائق و الحلول):اعتمد محمد أركون على خطوات أساسية لضرب القناعات ذات الطابع الإسلامي، فقبل عرض تصوره حول أسباب النزول ونقده لها ولغيرها من المسلَّمات، كان يجب كسر مفاهيم ظلت راسخة عند المسلمين حول التفسير الإسلامي– والتراث الإسلامي ككل – وهي التي تحمي النظام المسلماتي وتتمثل في عائقين أساسيين:

أ. هالة التقديس أو عدم التفريق بين المقدَّس والتراث البشري: أشار محمد أركون إلى سبب ذلك التقديس للتفسير الموروث حيث يرى بأن التفسير الموروث يعتمد على القصَّة أو الحكاية التأطيرية، أي فيما يشبه الإخراج المسرحي لأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم أو لآية أو مجموعة من الآيات، ولما تعلقت القصة بشخص النبي عليه السلام والآيات القرآنية، استمدت منها قيمة فريدة تجعلها في مرتبة أعلى من كل الحكايات الدنيوية.[4] "بمعنى أن الحكايات التي يوردها المفسرون لتفسير آيات القرآن أو سورة تصبح متعالية عن طريق العدوى لأنها استخدمت في تفسير الكلام المقدَّس أو المتعالي"[5]. وبهذا اكتسب التفسير الموروث هيبة كبيرة من قبل المؤمنين واستنكارا لكل ما عداه من التأويلات الفكرية التي قدمها المحدَثون.[6]

ب. تقييد الاجتهاد: نبَّه "أركون" إلى ما اعتبره مشكلة خطيرة وهي مسألة الاجتهاد في التراث الإسلامي، لأنَّه ومن خلال قراءته للاجتهاد التقليدي توصَّل إلى أنَّه يعاني أمرين أساسيين أسهما بشكل كبير في تقييده وصولا إلى غلقه أخيرا، وأولهما هو احتكار الفقهاء (الأئمة، مؤسسي المذاهب الكبرى) لمهمة الاجتهاد وجعلها قصرا عليهم فقط[7]، وادعاؤهم للفهم المطابق للمقصد الإلهي

[1] هاشم صالح، تقديم كتاب من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي لمحمد أركون، المصدر السابق، ص9.
[2] محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996م، ص 45.
[3] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق ، ص 39.
[4] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق ، ص161.
[5] هاشم صالح، تعليق على كتاب القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون، المصدر السابق،ص161.
[6] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق ، ص161.
[7] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، المصدر السابق، ص11.

والذي تبلور إلى قانون ديني مؤله ينبغي سيرورته أبديا على تصرف وفكر المؤمن، وهذا ما يسميه "أركون" بفرض الأرثوذكسية[1] أي "إمكانية تحديد التفسير الصحيح المستقيم للنصوص المقدَّسة والنظر إلى كل ما عداه على أنَّه هرطقة وضلال."[2] أمَّا عن ثاني عامل قيَّد الاجتهاد التقليدي حسب "أركون" هو تحالف السلطتين الدينية والسياسية فرجال الدين كانوا يعكسون المتطلبات الأيديولوجية لطبقة معيَّنة أكثر مما يفرضون توجههم الفكري عن طريق هيبتهم[3]، "وهنا يقوم أركون بتوجيه نقده العميق لهذه العلاقة الملتبسة بين السلطة السياسية والهيئات الدينية المحافظة والأرثودوكسية، وذلك عبر تاريخ الإسلام ووصولا إلى وقتنا الحاضر، ولأنه يرى فيه السبب الجوهري لإغلاق باب الاجتهاد في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث يعتبر سلطة الدولة في تاريخ الإسلام مسؤولة إلى حد ما عن هذا الوضع من خلال بسط نفوذها على مصادر التفكير الديني والإسلامي، وأنَّ ما حدث تاريخيا هو نوع من تبادل الاعتراف بالشرعية بين السلطتين الدينية والسياسية، الذي مكَّنهما من مصادرة فرص الاجتهاد وإطلاق آفاق أخرى للتفكير في الإسلام"[4].

إنَّ هذان العائقين(التقديس وتقييد الاجتهاد) لهما تأثير عظيم إذ تفضي القناعة بهما إلى استحالة عرض اليقينيات الإسلامية على محك النقد ويبقى ما أسَّسه السابقون عبارة عن مسلَّمات قطعية لا تحتمل النقاش، ولحل مشكلة القناعات ونقدها رأى "أركون" ضرورة الخطوات التالية :

أ. إزالة هالة التقديس: وهنا يؤكد "أركون" على أنَّه يجب التنبيه بأن الوحي شيء، والأنظمة التيولوجية اللَّاهوتية التي أتت فيما بعد شيء آخر فلا ينبغي أبدا الخلط بينهما[5]، أي لابد من التفريق بين ما يسمِّيه بالظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية، ويعرف الظاهرة القرآنية بقوله "أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما، الزمان هو بدايات التبشير، البيئة الاجتماعية– الثقافية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية"[6].

أما الظاهرة الإسلامية فهي: "ما هي إلا عملية استهلاك للقرآن المتلو، والمقروء والمعاش بصفته نصا رسميا مغلقا وناجزا بشكل نهائي"[7].

إذن فالقرآن هو الذي يمثل الجانب المقدَّس في الإسلام وهذه القدسية هي ما تهتم بها الظاهرة الإسلامية، إذ تستغلها من أجل إضفاء التقديس والتعالي والأسطرة على التركيبات العقائدية وكل القوانين الشرعية والأخلاقية وكل أنظمة المشروعية التي أنشأها

---

[1] المصدر نفسه، ص 16،15.

[2] محمد أركون، قراءات في القرآن، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2، 2019م، ص 236.

[3] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المصدر السابق ، ص 22.

[4] أورسولا غونتر، ضمن مقال بعنوان باحثة ألمانية: أركون ناقد جذري للسلطتين الدينية والسياسية، مجري الحوار : منصف السليمى، تاريخ النشر:2010/10/05م.https://p.dw.com/p/PTim

[5] محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة:هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص79.

[6] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص186.

[7] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1999م، ص 210،209.

البشر[1]، وما كان تمييز "أركون" بين الظاهرتين إلا لنزع صفة القدسية عن الظاهرة الإسلامية وعن كل منتجاتها التشريعية والفقهية والسياسية.. الخ فكل ذلك من عمل البشر ولا قداسة له[2].

ب. ضرورة تجديد الاجتهاد: إنَّ سلبيات الاجتهاد التقليدي – المذكورة سابقا- من احتكار للاجتهاد من قبل الفقهاء إضافة إلى تحكم السلطة السياسية خلَق مساحة من اللَّامفكر فيه، ممَّا جعل "أركون" يدعو إلى ضرورة زحزحة الاجتهاد التقليدي والتحرر من شروطه ومحدوديته التي سنَّها الفقهاء، ونقله من المجال اللاهوتي الذي حُصر فيه إلى مجال التساؤلات الخاصة بنقد العقل الإسلامي[3]، الإسلامي[3]، وهدفه من وراء ذلك جعل "المستحيل التفكير فيه" أو"اللَّامفكر فيه" شيئا ممكنا التفكير فيه داخل ساحة الفكر الإسلامي والعربي المعاصر[4].

إذن فإن التأكيد على احتمالية خطأ الإنتاج البشري وإثبات أحقية التفكير والاجتهاد الحر هما خطوتان أساسيتان قام بهما "أركون" حتى يعطي الشرعية لما سيقوم به في الخطوة الثالثة وهي:

ج. أشكلة المسائل اليقينية: والمقصود بالأشكلة هنا هو "جعل الشيء إشكاليا بعد أن كان يبدو بديهيا أو تحصيل حاصل"[5].

وفق هذا المنطلق نادى "أركون" بإعادة قراءة التراث قراءة شاملة تتعرض لكل ما أنتجه الفكر الإسلامي (تفسير، علم كلام، فقه ..) وحتى المرجعية الدينية قرآنا وسنة إلى مراجعة نقدية شاملة لا اعتراف فيها بالمسلمات ولا بالمعتقدات الراسخة لدى جمع المسلمين، والتي جُزم جزما قاطعا بصحتها وصدقيتها، وأي محاولة أو دعوة للتفكير فيها هو نوع من العبث الفكري يصل بصاحبه إلى أن يتهم بالزندقة والابتداع والكفر، وبما أن موضوعنا يتعلق بمسألة أسباب النزول فسنعرض وجهة نظر "محمد أركون" وكيف تناولها بالنقد وأخرجها من كونها مسلمة بديهية اعتُمِد عليها في الفكر الإسلامي ولازالت تُعتمد – نظرا لمكانتها المهمة والمساعدة في فهم المقصد القرآني وإيضاح أحكامه ومعانيه- إلى طرح جديد ومعنى آخر نبرزه في الآتي:

– تصور محمد أركون لأسباب النزول : إن اعتماد التفسير على أسباب النزول كمسلمة بديهية غير مفكر فيها ولا في مدى صحتها جعل محمد أركون-بزعمه في البحث عن الحقيقة- يدعو إلى تعريضها إلى المراجعة وإعادة قراءتها على ضوء التاريخ النقدي الحديث[6] لمعرفة مدى صدقيتها، فكيف كانت قراءة أركون لأسباب النزول وما هي النتيجة المتوصل إليها من تلك القراءة؟.

ينطلق "أركون" في معالجته لهذه القضية من أنَّ القرآن الموجود في المصاحف وقع عليه الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية[7]، اللغوية[7]، وهذا ما تفضحه القراءة السطحية له إذ أنَّ "نص المصحف وطريقة ترتيبه تدهشنا بفوضاها "[8]- حسب قول أركون- فمن

---

[1] المصدر نفسه، ص210،211.

[2] هاشم صالح، تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي لمحمد أركون، المصدر السابق، ص211.

[3] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، المصدر السابق، ص 17.

[4] محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2،2001م، ص 44.

[5] هاشم صالح، تعليق على كتاب القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص28.

[6] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الديني، المصدر السابق ، ص 68.

[7] محمد أركون، قضايا العقل الديني، المصدر السابق، ص 188.

[8] محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد، المصدر السابق ، ص 86.

فمن غير المعقول أن يبدو متجانسا خاصة مع العلم بأنَّ نزوله استمر على مدى عشرين سنة[1]،ولهذا فإن عدم الانسجام الظاهري للقرآن جعل الفقهاء والمفسرين يواجهون عدَّة إشكالات كمسألة النَّاسخ والمنسوخ، فالقرآن يحتوي على جميع الآيات المنسوخة[2] والتي لا يمكن لهم حذفها لأن المصحف كان قد تشكَّل بصورته النهائية أيام عثمان بن عفان[3]–رضي الله عنه– فلا إمكانية للتغيير فيه لتجاوز هذا الخلل، هنا ما كان على الفقهاء إلا أن يجدوا حلا آخر وهو تأسيس علم أسباب النزول لتبرير النَّسخ وإثبات أنَّ الآيات النَّاسخة قد نزلت فعلا بعد الآيات المنسوخة[4]، وذلك لأن النَّسخ يقوم على ضرورة معرفة الترتيب الزمني للسور والآيات[5]، والآيات[5]، وهذه الأخيرة لا يمكن الكشف عنها إلا عن طريق الأخبار التي تحمل قصة كل آية وهي التي تثبت أسبقية الآية المنسوخة على الناسخة، وبهذا كان علم أسباب النزول حلًّا لاهوتيا لجأ له خطاب النَّسخ في الفكر الإسلامي لحل مشكل عدم اعتبار الترتيب الزمني لنزول الآيات[6].

4. لا تاريخية أسباب النزول والتاريخية المقصودة

1.4. أسباب النزول والتاريخية الأسطورية

يشير "محمد أركون" إلى ضرورة عدم الخلط بين التاريخية التي يقصدها وبين الظروف العرضية المحضة، أو المناسبات الخاصة بالوحي والتي اصطلح عليها باسم **أسباب النزول**[7]. لماذا؟.

إجابة على هذا يمكن أن نسوقه في جملة من النقاط تطرق لها "أركون" في مواضع متفرقة من كتبه تدليلا منه على أنَّه لا علاقة لأسباب النزول بالتاريخية الحقيقية للقرآن وذلك لأنَّها:

– **غير متزامنة مع القرآن:** وذلك لأنها تنتمي إلى سياقات أخرى تلت المرحلة القرآنية يقول "محمد أركون": "لهذا السبب فإن ما يدعى بأسباب النزول المستخدمة عموما كبرهان تاريخي على السياقات التي أوحيت فيها الآيات، تبدو لنا مضللة أو خادعة كليا. لماذا؟ لأنها تنتمي إلى السياقات الجديدة المبلورة من أجل تلبية حاجات الذاكرة الجماعية (المدعوة بالتراث الحي) لكل فرقة إسلامية."[8]

– **أسطورية، لا تنقل الأحداث بأمانة:** يشير "محمد أركون" إلى أنَّ أسباب النزول لم تنقل بحذافيرها وبأمانة[9]، ومن أسباب ذلك الطابع الأسطوري الذي تتميز به، إذ أن عملية ربط الآيات بسبب تاريخي أو واقعة كانت وراء نزول الآية هي عملية أسطورية أكثر

---

[1] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق،ص 114.

[2] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، المصدر السابق ، ص 74.

[3] هاشم صالح، تعليق على كتاب من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي لمحمد أركون، المصدر السابق ، ص 74.

[4] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، المصدر السابق، ص 74.

[5] المصدر نفسه، ص 71.

[6] مختار الفجاري، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005م، ص 128.

[7] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق،ص 21.

[8] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 37.

[9] محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، المصدر السابق، ص85.

من كونها تاريخية لأنَّها ترفع الأحداث إلى مستوى التعالي الربَّاني[1] "فالحدث الأكثر عادية أو ابتذالا غالبا ما يحور و يحول إلى عمل معجز، أو درس نموذجي أعلى، أو مقولة لاهوتية–فقهية."[2]

– متقطعة لا تغطي الظرف العام للخطاب: يرى "أركون" بأن جميع العبارات القرآنية كانت قد نتجت في نفس الوضعية العامَّة للخطاب ويقصد بذلك "مجمل الظروف التي جرى في داخلها فعل كلامي (سواء أكان مكتوبا أو شفهيا)."[3] غير أنَّ أسباب النزول لا تشمل مجمل ظروف النص القرآني فهي نوع من القصة الصغيرة المرافقة لكل آية[4] وتتحدث على مجرد وقائع مبعثرة ومتقطعة وآنية لا توضح العلاقة بينها وبين المكانة الإلهية للآيات.[5]

إذن فالاعتداد بأسباب النزول سيحجب عن فهم التاريخية الحقيقية للقرآن، لهذا لا يجب الاعتراف بها لأنها خادعة ومضللة حسب قول "أركون"، وتشكل عائقا وجب إزالته للوصول إلى التاريخية الحقَّة.

2.4. التاريخية المقصودة عند محمد أركون

تعد التاريخية في نظر "محمد أركون" مطلبا أساسيا لقراءة التراث الإسلامي قراءة موضوعية سليمة، وحلِّ الإشكال القائم بين الواقعي والمتعالي، فالتعالي آلية لحجب حقائق التاريخ وإضفاءها على النصوص يمنع من تفكيكها بشكل تاريخي سليم [6]. إذن فإن أهم ما يصادم التاريخية ويناقضها هو القول بالتعالي، وهو الأمر الذي تلمَّسه "محمد أركون" في القرآن لهذا رأى من الضروري إبطال هذا الزَّعم لأنَّه مخالف للتاريخية الشاملة لكل شيء وللكشف عنها وإثبات خضوع القرآن لها قام أركون بالتالي:

– نقد التعالي القرآني على التاريخ: وهذا ما يظهر–حسب أركون– في النَّص القرآني واستمرَّ المسلمون يحافظون على هذا التعالي إلى اليوم من خلال اعتقادهم بعمومية النَّص وصلاحيته لكل زمان ومكان، لهذا جاء نقد "أركون" للقرآن والمسلمين على السواء.

أ. نقد أسلوب القرآن في التعالي على التاريخ : يرى "أركون" أنَّ القرآن الكريم استطاع أن يضفي صفة التعالي على الأحداث والوقائع التاريخية التي حصلت زمن الوحي، وذلك من خلال أسلوبه في محو المعالم المحسوسة والتفاصيل التاريخية للحدث فيصبح وكأنَّه لا علاقة له بالحدث الذي وقع فعليا في التاريخ، ويكون القرآن بذلك خطابا كونيا موجَّها لجميع البشر في كل زمان ومكان، وهكذا يفقد صفته التاريخية حيث يصبح وكأنَّه خارج التاريخ أو يعلو عليه[7]. لكن يبدو أنَّ أركون وقع في التناقض ففي موضع آخر آخر يقول "نجد، من خلال القصص القرآني، أنَّ وعيا تاريخيا بدئيا يميل إلى الظهور والانبثاق ضمن دائرة الوعي الأسطوري."[8] وفي هذا إقرار بتضمن القرآن للوعي التاريخي عكس كلامه الأول.

---

[1] هاشم صالح، تعليق على كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون، المصدر السابق، ص21.

[2] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 73

[3] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 114.

[4] المصدر نفسه،ص 115.

[5] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص 91.

[6] بن خدة نعيمة، إشكالية النص القرآني عند محمد أركون، مجلة التعليمية، المجلد7، العدد 4، 2017/12/09م، ص 2.

[7] محمد أركون، الإسلام الأخلاق و السياسة، ترجمة:هاشم صالح، دار الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م، ص 30،31.

[8] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص 131.

ب. نقد حفاظ المسلمين على التعالي القرآني:

ينتقد "أركون" اعتقاد المسلمين بأنَّ القرآن هو المرجع الأعلى والنهائي لكل البشر. فهو عندهم يحوي جواب لكل سؤال، كما يحوي جميع الحلول التي يمكن أن يحتاجها البشر على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم[1]. إنَّ هذا الاعتقاد جعل القرآن في العالم الإسلامي "يشغل كل الرؤوس ويرد في كل المناقشات ويسيطر على كل الحجج أو المحاجات، ويغذي كل أنواع الآمال ويبررون باسمه أفظع أنواع الأعمال المتطرفة، ويضحون من أجله–أو من أجل ما يفهمونه منه– بالأرواح والنُّفوس."[2] إنَّ القرآن بهذه الصورة يتعالى يتعالى على ما يسمى بالتاريخية ولا يتأثر بها على الإطلاق[3]، لأنَّ أصحاب التيار التقليدي كما لاحظ "أركون" في الكثير من المؤتمرات في استشهادهم بالآيات لا يولون انتباها لمسألة مشروعية أو عدم مشروعية المطابقة بين الحالة الراهنة وبين الحال الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يهتمون بمسألة اختلاف دلالات الألفاظ في زمننا وفي زمن الوحي بل يعتبرون كل هذا ممَّا لا نقاش فيه[4] وهذا التعالي هو ما سعى "أركون" إلى تفنيده من خلال الخطوتين التاليتين:

– **التتبع التاريخي لتشكيل المصحف** : بخصوص هذه المسألة يرى "محمد أركون" بأن الفكر الإسلامي يقوم على فرضية الصِّحة التاريخية للمصحف وأنَّها حسمت بشكل نهائي منذ الجمع الذي قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأيُّ تشكيك في هذا الأمر يعتبر زندقة تستدعي العقوبة والرَّدع، ولكن مثل هذه الفرضية –حسب أركون– يكذبها الواقع والنقد العلمي الحديث معا[5].كيف ذلك؟

يرى "أركون" أنَّ أيَّة مراجعة نقدية للنص القرآني تستدعي أولا إعادة كتابة قصة تشكل هذا النَّص، أي نقد القصة الرسمية الراسخة في التراث الإسلامي وذلك من خلال:

توظيف الوثائق المتاحة :سواء كانت ذات أصل شيعي أو خارجي أو سنِّي لتجنب أي حذف قد يقع فيه طرف ضد طرف آخر.[6]

البحث عن وثائق جديدة: كوثائق البحر الميت المكتشفة مؤخرا، والوثائق الموجودة في المكتبات الخاصة عند دروز سوريا أو إسماعيلية الهند أو زيدية اليمن أو علوية المغرب، لكن هذه المكتبات محروسة جيِّدا ولا يمكننا الوصول إليها الآن.[7]

وهذا من أجل التوصل إلى نسخة محقَّقة من القرآن، وقراءة تاريخية أكثر صدقية للنص القرآني وأقل اعتمادا على الظنون والفرضيات.[8]

---

[1] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، المصدر السابق ، ص 14.

[2] محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى و إرادات الهيمنة، المصدر السابق،ص 22.

[3] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 14.

[4] هاشم صالح، تعليق على كتاب تاريخية الفكر العربي لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 86.

[5] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص 66.

[6] محمد أركون،تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المصدر السابق، ص ص 290،291.

[7] المصدر نفسه، ص ص 290،291.

[8] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص45.

لكن الواقع عكس ذلك حسب قول أركون، فلم يتم التوصل إلى نسخة محقَّقة لهذا تضل قراءتنا له أقل تاريخية ممَّا يجب، خاصة في ظل غياب النسخ المعاصرة للقرآن والتي أتلفت نهائيا وفرضت النسخة الحالية من طرف السلطة الحاكمة، ولو بقيت نسخ أخرى لكان بالإمكان التوصل إلى قراءة أكثر تاريخية للنص وكيفية تشكله.[1]

إلا أنَّ هذا الأمر لم يمنع "أركون" من إعطاء تصور آخر حول تشكل المصحف من خلال المعطيات المتاحة له مخالفا بذلك مسألة تدوين وجمع القرآن المشاعة في الوسط الإسلامي، وقد استهل "أركون" هذا الأمر بما يسميه لحظة القرآن، إذ نجده يمايز بين القرآن في مرحلته الشفهية وبين مرحلته الكتابية أي وصولا إلى ما يسميه بالمدونة الرسمية المغلقة (المصحف).

المرحلة الشفهية: حيث كان القرآن على مدى عشرين عاما عبارة عن سلسلة متواصلة من العبارات اللغوية الشفهية متلفظة من قبل النبي[2]، وقد أنتج هذا الخطاب ضمن مشروطية لغوية وثقافية واجتماعية حيث تلفظ به من قبل متكلم ما بلغة ما هي اللغة العربية، في بيئة ما وهي الجزيرة العربية ثم استقبله لأول مرَّة في التاريخ جمهور ما هو الجمهور العربي القرشي في مكة والذين تباينت مواقفهم منه بين مؤيد ومعارض.[3]

المرحلة الكتابية: (المصحف) والتي تشكَّل فيها مصحف ما، وأعلن بأنَّه هو المصحف الوحيد والصحيح وتم اعتماده مرجعا للمسلمين منذ ذلك الحين إلى اليوم.[4]

ما يريد "أركون" قوله من هذا التمييز هو أنَّ مرحلة الانتقال من الخطاب الشفهي إلى الخطاب المدوَّن لم تلق اهتماما لا من قبل المسلمين ولا من قبل المستشرقين على السواء، في حين أن هذه المرحلة مهمة جدًّا وتطرح مشاكل عديدة غير مفكر فيها[5]، ومن خلال قراءته لهذه المرحلة خلُص إلى ما يلي:

1. استحالة التوصل إلى الحالة الأوّلية للخطاب الشفهي لأنَّها انتهت بوفاة أصحابها فضاعت للأبد، فنحن لا نمتلك شريط تسجيل أو فلم مصوَّر للرسول صلى الله عليه وسلم لعدم توفر آلات التسجيل وكاميرات التصوير في ذلك الزمن[6].

2.حتمية وقوع الضَّياع والتحوير أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة المكتوبة، وهذا ما تقرّ به الألسنيات الحديثة[7]، ولا جرم بأن هذا الأمر يغيِّر كليا في فهم كلام الله وتفسيره واستخدامه [8].

وهذا ما حصل –بحسب أركون– اعتمادا على ما يرويه التراث الإسلامي فبعد وفاة النَّبي صلى الله عليه وسلم (632م) بدأت عملية جمع القرآن، حيث كانت قد دُوِّنت بعض الآيات في حياته وبهذا أنتجت نسخ جزئية متفرقة مدوَّنة على أشياء لا تفي

[1] هاشم صالح ،تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 45.
[2] محمد أركون، العلمنة والدين، المصدر السابق، ص 46.
[3] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، المصدر السابق، ص ص 186،187.
[4] محمد أركون، العلمنة والدين، المصدر السابق، ص 47.
[5] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، المصدر السابق، ص 187.
[6] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، المصدر السابق، ص 187،188.
[7] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص 53.
[8] هاشم صالح، تعليق على كتاب العلمنة والدين لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 28.

بالغرض كالرق والعظام المسطحة، ثم إنَّ اختفاء الصَّحابة واحدا تلو الآخر والنقاشات الحادَّة التي دارت بين المسلمين الأوائل دفعت بالخليفة عثمان بن عفان–رضي الله عنه– إلى جمع الوحي في مصحف واحد والإعلان عن انتهاء الجمع وأخَذَ المصحف شكله النهائي الذي لا يتغير بعده، ثم جاء الأمر بإتلاف جميع النسخ الجزئية الأخرى لكيلا تعزِّز الشقاق بين المسلمين وتفادي الجدل حول صحة الآيات والسور الذي قد يحصل ضد المصحف بصورته النهائية. كل هذا جرى في جوٍّ من الهيجان السياسي[1]، وبهذا لم ينتقل الخطاب القرآني من كونه شفهيا إلى صيغته الكتابية إلا بعد حدوث الكثير من عمليات الحذف والتلاعبات[2].إذن فالنتيجة التي توصّل إليها أركون من خلال محاولته للتتبع التاريخي للنص القرآني يمكن صياغتها فيما يلي:

* ضياع القرآن بصورته الحقيقية.

* استحالة الوصول للظروف المرافقة للقرآن الأول.

* احتواء المصحف على المغالطات وعدم مطابقته الفعلية للكلام القرآني في مرحلته الشفهية.

* القول بالصحة الكلية للمصحف لا علاقة له بالحقيقة بل هي مجرد رواية فرضها المنتصر آنذاك بقوة السلطة وأبعدت الروايات الأخرى.

– القراءة التاريخية لبنية النَّص القرآني

يسعى "أركون" إلى إثبات تاريخية القرآن بعيدا عن أسباب النزول فهي في نظره لا تعطي الصورة الحقيقية للظرف العام الذي أحاط بالقرآن في فترة نزوله لأنَّها قصص صغيرة لا تفي بالغرض كما أشرنا سابقا، ولهذا نجد "أركون" يحاول إثبات التاريخية للنَّص القرآني بأمور تكون أشمل وأكثر استيعابا له حيث ركَّز على لغة الوحي ومحدوديتها الزمكانية ومحدودية الوقائع المعالجة من قبل النص.[3] فكيف كانت إذن مراجعته النقدية للقرآن من خلال لغته وهي اللغة العربية؟.

أ. إثبات إمكانية الدراسة الألسنية للقرآن: بداية حاول "أركون" أن يثبت بأنَّ القرآن يمكن دراسته كأي نص بشري آخر وذلك من خلال أمرين:

من حيث كون القرآن حدث تاريخي: دونما اعتبار لكونه كلاما متعاليا، بل اعتبار كونه حدثا واقعيا تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا[4]، وهنا يشير "أركون" إلى إشكالية المصطلح إذ نجده يفضِّل استعمال مصطلح الظاهرة القرآنية أو الحدث القرآني بدل كلمة "قرآن" والتي يصعب استخدامها كما هي قبل تفكيكها نظرا لكونها مشحونة لاهوتيا وهذا ما يفرض هيبة التقديس على الباحث المسلم، فلا يجرؤ على التساؤل حولها[5]، بعكس مصطلح الحدث القرآني الذي يدلُّ على أنَّ القرآن حادث في التاريخ يقول

[1] محمد أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص ص 82،81.

[2] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، المصدر السابق، ص 188.

[3] حسن العباقي، الإستشراق في فكر محمد أركون بين الشعور بالمديونية والرغبة في التجاوز، مجلة إسلامية المعرفة، مج14، العدد 55، 2009م، ص 71.

[4] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المصدر السابق، ص 284.

[5] هاشم صالح،تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، المصدر السابق،ص 29.

يقول "أركون": "عندما استخدم مصطلح الحدث القرآني فإني أغرس القرآن في التاريخية، وعندما أقول "القرآن" فإني أنزع عنه كل تاريخية كما يفعل المسلمون.[1]

من حيث كونه ذو لغة بشرية: رأينا فيما سبق بأن "محمد أركون" لا يتعامل مع القرآن كنص متعال له قداسته المستمدة من كونه وحيا إلهيا، بل ينظر إليه على أنَّه نص لغوي شأنه شأن النصوص الأخرى وذلك لأنه مكتوب بلغة بشرية، حيث يعرِّف "أركون" الحدث القرآني أو الحادث القرآني قائلا: "ظاهرة لغوية ثقافية دينية"[2] فتجليه بلغة بشرية معناه إمكانية دراسته كغيره من النصوص اللغوية. يقول "محمد أركون": "إنَّ القرآن يتجلى لنا كخطاب خاص له ماديته وبنيته التي يمكن لباحث الألسنيات أن يكتشف فيها أسلوبا خاصا في تشكيل المعنى وإنتاجه"[3].

ب. القراءة التزامنية للقرآن وكشف وهم الاستمرارية

المقصود بالتزامنية هو "دراسة معنى النَّص أو الكلمة طبقا لمعناها السائد في عصرها وليس في عصر آخر"[4]. وبهذا التعريف يكون معنى القراءة التزامنية للقرآن هو "ربط كل كلمة بالمعنى الذي كانت تتخذه في القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية أثناء ظهور محمد"[5] صلى الله عليه وسلم.

أو كما يصطلح عليها "أركون" بالاستكشاف الألسني المتزامن للخطاب القرآني[6] والمقصود به "استكشاف معاني كلمات القرآن في في وقتها لا إسقاط معانينا الحالية عليها"[7]. يفهم من هذا الكلام أنَّ إدراك المعنى الحقيقي للقرآن لا يكون إلا بحصر معاني ألفاظه ضمن حدود الزَّمن الذي ظهرت فيه، أي الرجوع إلى زمن الوحي لمعرفة دلالة كلماته ومقصودها المشاع في البيئة الثقافية السائدة آنذاك .

إنَّ هذا الطَّرح القائل بضرورة القراءة اللغوية التزامنية للنَّص القرآني نابع من الإيمان بفكرة تطور اللغة ومن هذا جاء رفض "محمد أركون "للقراءات الإسقاطية " أي إسقاط معاني الكلمات الحالية على الكلمات السابقة التي تعود إلى عصر القرآن، وهذه مغالطة لأن الكلمات العربية في القرن السابع الميلادي لها معان تختلف عن المعاني السائدة التي تمتلكها الكلمات نفسها اليوم"[8]. وهذا- بحسب أركون- ما وقعت فيه التفاسير الإسلامية ولهذا فهو يعتبرها خاطئة من الأساس لأنَّها تمارس هذه المغالطة التاريخية على أوسع

[1] محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، المصدر السابق، ص 49.

[2] محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة:عادل العوا، منشورات عويدات، لبنان، ط3، 1985م، ص 27.

[3] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المصدر السابق، ص 284.

[4] هاشم صالح، تعليق على كتاب من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين الفكر الإسلامي المعاصر؟ لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2، 1995م، ص 14.

[5] هاشم صالح، تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 43.

[6] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص 43.

[7] هاشم صالح، تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، المصدر نفسه، ص43.

[8] محمد أركون، التشكيل البشري للإسلام مقابلات مع رشيد بن زين و جان لوي شليجيل، ترجمة: هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2013م، ص 160.

نطاق، فلا يرى "أركون" أنَّها حقَّقت الفهم الحقيقي للنص القرآني لهذا يدعو إلى تفسير آخر هو التفسير الألسني التزامني التاريخي[1]، وقد أشار "أركون" إلى عاقبة هذه المغالطة والتي يحصرها فيما يسميه "بتأبيد وهم التواصلية المعاشة بين المعنى والقوانين الموحى بها وبين التفاسير والإسقاطات المتراكمة والمكثفة في التراث الحي الخاص بالأمة المؤمنة"[2]. أو كما يقول في موضع آخر "التسليم بوجود استمرارية بنيوية وتماثلية معنوية ما بين الزمكان الأولي الأصلي الذي لفظت فيه الآيات والأحاديث لأول مرة وبين الزمكنات المتغيرة (= الظروف المتغيرة) التي يستشهد بها بعد أن أصبحت نصوصا."[3]و بهذا يكون القرآن عبارة عن بنية محركة للوجود وله تجسيدات عديدة و متغيرة[4]، فكل جيل يقرؤه ويفسره ويستمد منه المعنى الذي يناسبه ويعيش عليه وبهذا يظل القرآن حيا ومحرّكا للوجود في كل كل جيل[5]. وهذا بحسب "أركون" لا يصح فمحاولات فهم القرآن التي جاءت فيما بعد هي عبارة عن قراءات إسقاطية تُحمِّل النَّص دلالات عصر غير عصره فتخل بمعناه الحقيقي لا محالة. يقول هاشم صالح:" ينبغي العودة إلى ذلك العصر من أجل فهم كلمات القرآن في ضوء المعنى السائد في زمنه، وليس في ضوء المعنى السائد في زمننا، أو حتى في الأزمنة التي تلت زمن القرآن. فهذا هو الإسقاط، الوقوع في فخ المغالطة التاريخية، فنحن نتوهم أنَّنا نقرأ القرآن أو نفسره في حين أنَّنا نقرأ عصرنا أو عصورا أخرى غير عصره"[6]. وهذا يقود إلى القول بأنَّ معاني الكلمات القرآنية في القرن السابع الميلادي لا يمكن استجلابها بتاتا وفرضها في عصرنا الحالي، فكل معنى مقيَّد باللغة واللغة بدورها مقيَّدة بزمانها وبما أنَّها دائمة التطور فهذا يعني استحالة نقل معاني عصر إلى عصر آخر.

5. نقد رؤية محمد أركون لأسباب النزول وتاريخية القرآن:

1.5. نقد تصوره حول أسباب النزول

: أسَّس أركون تصوره لأسباب النزول على مغالطتين هما:

– عدم تجانسية النَّص القرآني نظرا لعدم الاعتماد على الترتيب الزمني للآيات.

– وجود سبب لكل آية من آيات القرآن: يقول أركون: "علم أسباب النزول ينقل الأسباب المباشرة التي أدَّت إلى نزول الوحي أو رافقته، أقصد وحي كل آية ،.. "[7] ويقول أيضا" إن أسباب النزول ...نوع من القصة الصغيرة المرافقة لكل آية"[8]. فانعدام الترتيب الزمني للآيات (فوضوية الآيات) أوقع الفقهاء في إشكالات منها مسألة النسخ، ولهذا أنشأوا علم أسباب النزول لتحديد سبب لكل آية، وذلك لإثبات صحة كل آية من الواقع الخارجي وكان خلاصة هذا التصور هو أنَّ أسباب النزول عبارة عن ربط للآيات القرآنية بواقع غير الواقع الحقيقي السائد زمن نزول الوحي. وردًّا على هذا الكلام نصوغه كالآتي:

---

[1] المصدر نفسه، ص 160.

[2] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص 47.

[3] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي، المصدر السابق، ص 86.

[4] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص 47.

[5] هاشم صالح، تعليق على كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 47.

[6] هاشم صالح، تعليق على كتاب من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين الفكر الإسلامي المعاصر؟ لمحمد أركون، المصدر السابق، ص 14.

[7] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص 91.

[8] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 115.

– أما بالنسبة لمسألة عدم اعتماد الترتيب الزمني للقرآن فهناك ترتيبات أخرى وفق أمور عدَّة منها حسب الموضوع والزمان والمكان والمجال وغير ذلك، فلماذا يجب تقييد القرآن وربط انسجامه بضرورة الترتيب الزمني تحديدا؟ وفي هذا الشأن أشار عبد الله دراز إلى ذلك بمثال مادي وهو شراء السلع لبناء بيت وطبعا لا يضر شراء لوازم السقف أولا قبل الأسس والجدران متبعا في ذلك فرصة توفر الثمن وتوفر تلك السلعة في السوق ثم بنى البيت أكان ذلك مخلا بهندسة ذلك البيت وبالقياسات التي وضعها المهندس؟ كذلك القرآن الكريم نزل بحسب وقائع ثم رتب حسب تصميم أراده الله آخذا بعين الاعتبار التدرج في التعليم والفهم والانتقال من جو إلى جو تدريجيين إمّا تصاعديا أو تنازليا حسب ما تقتضيه الضرورة [1].

– ليس لكل آية سبب فأكثر آي القرآن نزلت ابتداء من غير سبب، وقد قام محمد عمارة بإحصاء روايات أسباب النزول فوجد أن المدقق منها تشمل 472 آية من أصل 6236 آية أي ما نسبته 7.5%، كما نظر إلى ما روي من أسباب النزول جميعها بصحيحها وسقيمها فوجدها تشمل 888 آية أي ما يعادل 14% من مجمل الآيات القرآنية[2].

– أسباب النزول لم تكن لتعبر وتثبت واقعية القرآن وسرد تاريخ آياته حتى نحكم بأنَّها توهمنا بتاريخية أسطورية كما ذهب أركون، بل هي عبارة عن مناسبات للوحي وصور تطبيقية لمبادئ قرآنية، وذلك لأنَّها عبارة عن أحداث أو أسئلة قابلة للنمذجة والتعميم فإن نزلت الآية بنهي شخص معين فهذا الشخص هو نموذج إنسان، وحالته التي وقع فيها جزما سيقع فيها غيره كالسرقة والزنا وغير ذلك فهي أفعال تتكرر دائما وفي مختلف الأزمان والأمكنة، لهذا كان لابد من نزول أوامر بشأنها في كتاب جاء لضبط منهج حياة الإنسان وفق ما هو صواب.

2.5. نقد قوله بتاريخية القرآن

أما فيما يخص قوله بتاريخية القرآن فهو نابع من إيمانه بمقولة التاريخية وأنَّ كلّ شيء خاضع للتاريخ ولا يتجاوزه. وهنا سنأتي على تبيان استحالة تطبيق التاريخية على النص القرآني.

فحسب تعريفات التاريخية نجدها تقوم على أمرين هما:

– إلزامية الخضوع للواقع وأنَّ الإنسان هو صانع التاريخ.

– إلزامية التحور والتطور . (النسبية)

وهذا معناه أن التاريخية لا اعتراف لها بغير المادية والتطور والإنسان على غير ما نجده في القرآن فهو يقرُّ بوجود الله والإنسان، والمادية والغيبية، والتطور والثبات. ولهذا فإنَّ محاولة تطبيق التاريخية على القرآن فيها إلغاء مسبق لله والغيبية والثبات. فمثلا نجد أنَّه لمن السذاجة القول بأنَّ الماء يحوي عنصر الهيدروجين فقط لاستخدامنا كاشفا لهذا العنصر فقط. وننكر أيَّ قول يقرُّ بوجود الأكسجين أيضا. فهكذا التاريخية، فأيُّ ادعاء بالغيبية والثبات وفكرة الإله منفية سلفا، فكيف يمكن التوصل بمنظار التاريخية إلى أنَّ

[1] عبد الله دراز، حصاد قلم، تحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم ، د.م.ن، د.ط، 2000م، ص 45و ما بعدها. نقلا عن رياض عميراوي، آراء العلماء في الترتيب المصحفي وحقيقة دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 27، العدد 3، 2013/12/15م، ص ص 57،58.

[2] محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م، ص255.

هناك إلها وغيبا وثباتا في القرآن وهي لا تعترف بذلك من الأساس، فالنتيجة محسومة قبل محاولة تطبيقها على القرآن، ولهذا فإن محاولات إثبات تاريخية القرآن وتقديم الحجج على ذلك هو أقرب للسذاجة منه إلى التعقل .

6. خاتمة

توصلنا من خلال البحث في معالجة "محمد أركون" لمسألة أسباب النزول إلى أنَّه لا يعترف بها بل يعتبرها عرقلة أمام الكشف عن التاريخية الحقيقية للقرآن الكريم، وقد تطرق إلى دورها المضلِّل بزعمه إذ ينظر إليها على أنَّها توحي بتاريخية أسطورية بعيدة عن الحقيقة وعن التاريخية الحقيقية للقرآن هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول أركون تبيان تاريخية النص القرآني التي يقصدها أو بمعنى آخر الكشف عن خضوع القرآن للتاريخ مفندا بذلك القول بصحة وعالمية القرآن وذلك من خلال احتكامه لأمرين وهما :

– خضوع المصحف أثناء تشكيله لتأثيرات وتلاعبات بسبب الصراع الواقع آنذاك، وهذا معناه أن المصحف بصورته الحالية هو وليد لظروف معينة تحكمت فيه.

– خضوع القرآن للغة زمانه الذي ظهر فيه.

وبهذا ربط "أركون" القرآن بالظروف التي صاحبت ظهوره ولغة القوم الذي نزل فيهم حتى يصبح القرآن لا يعدو أن يكون مجرد كتاب تاريخي فاقد لصلاحيته العالمية، وهذا طبعا لا يصح من الناحية العلمية لأن مجرد محاولة تطبيق التاريخية على القرآن فيه إلغاء مسبق لمصدريته الإلهية وصيرورته الزمكانية.

ويمكن أن نستنتج من هذا العرض أنَّ أركون لا يتحرى الحقيقة فعلا بل يسعى لبث الشك في كل ماهو موروث إسلامي وحتى القرآن والسنة لم يسلما من ذلك، فكان مشروعه تدميريا بعيدا عن كونه يعرض أفكاره وفق أسس علمية صحيحة، كما لاحظنا من خلال العرض أنَّه لم ينطلق من مراجعة التراث ليصل للتاريخية، بل آمن بالتاريخية ليقرأ التراث الإسلامي من خلالها، إذ نجده ينتج قراءة جديدة للتراث وفق ما يتناسب والتاريخية، وإن كان في التراث الإسلامي ما يفند قوله فهو يرفض التسليم به وبكل ما هو موروث إسلامي وإن فاقه حجة وبرهانا.

7. قائمة المصادر والمراجع

*** المؤلفات**

1- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ، دار الفكر العربي، د.م.ن، ط2، 1975م، ج3.

2- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، تخريج وتدقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، المملكة العربية السعودية، ط2، 1996م.

3- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

4- أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف، التوظيف العلماني لأسباب النزول . دراسة نقدية .،مجلة البيان، الرياض، ط1، 1438هـ.

5- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ج1.

6- خالد السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان، د.م.ن، ط1، 1421هـ، ج1 .

7- خالد عبد العزيز السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط3، 2015 م.

8- عبد الله بن محمد القرني، تاريخية القرآن في الفكر الحداثي، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، ط1، 2018م .

9- عبد الله دراز، حصاد قلم، تحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم ، د.م.ن، د.ط، 2000م

10- عطيات أبو سعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

11- قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، د.ت.

12- محمد أركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة: هاشم صالح، دار الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م.

13- محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2،2001م .

14- محمد أركون، التشكيل البشري للإسلام مقابلات مع رشيد بن زين وجان لوي شليجيل، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1، 2013م.

15- محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996م.

16- محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م.

17- محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د.ت.

18- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1،1999م.

19- محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة: عادل العوا، منشورات عويدات، لبنان، ط3، 1985م.

20- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط 2،2005م .

21 - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م.

22- محمد أركون، قراءات في القرآن، ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2، 2019م.

23- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

24- محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط1، 1991م.

25- محمد أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين الفكر الإسلامي المعاصر؟، ترجمة: هاشم صالح ، دار الساقي، لبنان، ط2،1995م.

26- محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة: صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1986م.

27- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب الغربي، بيروت، ط1، 1995م، ج1.
28- محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م.
29- مختار الفجاري، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005م.
30- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، د.ت.
31- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2014م.
32-Le petit Robert de la langue Fracaise,nouvelle Edition,1992.

*** المقالات**

1- بن خدة نعيمة، إشكالية النص القرآني عند محمد أركون، مجلة التعليمية، المجلد7، العدد 4، 2017/12/09 .
2- حسن العباقي، الإستشراق في فكر محمد أركون بين الشعور بالمديونية والرغبة في التجاوز، مجلة إسلامية المعرفة، مج 14، العدد 55، 2009م.
3- رياض عميراوي، آراء العلماء في الترتيب المصحفي وحقيقة دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 27، العدد 3، 2013/12/15م.

*** مواقع الانترنت**

1- أورسولا غونتر، ضمن مقال بعنوان باحثة ألمانية : أركون ناقد جذري للسلطتين الدينية والسياسية، مجري الحوار : منصف السليمى،تاريخ النشر 2010/10/05، https://p.dw.com/p/PTim